مشهد

إدارة شعبويات حاقدة

انكشاف العالَم

لا يُبشّر العالَم بخير إذا كانت النخبة مهدَّدة من رجال المال والأعمال الذين يعالجون الأزمات على نحو مكارثي، لا يتفهّمونها، بل يقمعونها، مثلما اعتاد أمثالهم من السياسيّين عدم إطفاء الحروب بل صبّ الزيت على النار

فوّاز حداد

أتاح الحدث الحاليُّ في غزّة إزاحة الغطاء عن العالَم، بعد الظنّ أنّنا نعيش في عالم مستقرّ، رغم انقساماته وأمراضه من فقر وجوع وتبذير، وحروبه تلك التي لا تتوقّف حتى تبدأ، إلى أن تجد حلاً بالمفاوضات، أو تهدأ وتُلفلف ليُعاد فتحها في وقت قادم، ريثما تُجدَّد الأطراف المتحاربة قواها. اتّسمت على هذه الشاكلة في الحرب الباردة وما بعدها، بأنّها حروب بالوكالة بين مصالح القوى الكبرى، أو اعتداء على بلدان لديها ثروات، تأخذ شكل صراع بين الظلم والاستبداد، وإن كان بغرف البلدان والأنظمة المسيطرة، صراعاً بين الخير والشر، طبعاً تُعتبر الدول الكبرى أنّها الخير بينما الشعوب التي تدافع عن نفسها توصف بالشر. ودائماً قوّة الإعلام، واللوبيات والسياسات المتوارثة عن الزمن الاستعماري، تُكرّس مطامع الدول على أنّها طموحات نحو إنسانية أرقى... لم يعُد هذا مقنعاً، العالم انكشف.

بمناسبة غزّة، يمكن القول من دون إبداء شيء من الحرص، إنّنا لم نشهد هذا القدر الهائل من الأكاذيب منذ ظهور الإنسان الناطق، وكأنّ هذا الإنسان لم يتعلّم النطق إلّا ليكذب، مثلما لم تصل السياسة لهذا الدرك المنحطّ إلّا في هذا الوقت، وكأنها تؤكّد على سمعتها السيّئة مع المزيد من التدنّي، خاصّة أنّ المعمل المنتج لهذه السياسات يتمركز في الدول الديمقراطية، وكأنّما حرية الرأي خدعة، ومغادرة للمنطق السليم، وانقلاب على المواثيق والقوانين الدولية للأمم المتّحدة. باعتبار اللوبيات الإسرائيلية فاعلاً مؤثّراً، سارعت إلى استخدام عملية «طوفان الأقصى» لإعادة بناء سردية الصراع العربي الإسرائيلي على أنّها، حسب التعريف الغربي المستحدث، «معاداة للسامية»، برّرت للحكومات الأوروبية الانزلاق إلى المتاجرة بالعداء للأجنبي والمهاجرين، وتجديد فوبيا الإسلام. لم يتوقّف الاستغلال عند هذا الحد، بل حرّض على اعتبار «الانتفاضة» دعوة إلى إبادة اليهود، فأعيد النظر في تعريفها المعتمد عالمياً في «قاموس أكسفورد» على أنّها «انتفاض الفلسطينيين ضدّ الاحتلال الإسرائيلي»، بينما القاموس الفرنسي «لاروس» اعتبر الانتفاضة «ثورة شعبية في وجه نظام قمعي أو عدوّ أجنبي». وفي أميركا مهما اختلف التعريف، فلا يحمل هذا المعنى.

هذا الانحياز المبالغ به نحو «إسرائيل»، كان بسبب ما اجتاح أوروبا وأميركا من احتجاجات أزعجت الحكومات والمراكز

> لم نشهد هذا القدر من الأكاذيب منذ ظهور الإنسان الناطق

الاقتصادية الكبرى وأصحاب المصالح التجارية الضخمة، كما استفزّت الممَوّلين الكبار، فالمظاهرات كان أغلبُها من الناشطين الشبّان والطلّاب الجامعيّين. فمارسوا الضغوط على الجامعات، وجرى استجواب رئيسات أهمّ ثلاث جامعات؛ «هارفارد»، و«بنسلفانيا»، و«معهد ماساشوستس للتكنولوجيا»، بحجّة انتهاك لائحة السلوك الجامعية، أدّى إلى نشر أجواء معادية للسامية، حدّده تقرير الاتهام بهتافات تدعو إلى الكراهية مثل: «هارفارد، و«بنسلفانيا»، و«معهد ماساشوستس للتكنولوجيا»، بحجّة حرّض على اعتبار «الانتفاضة» دعوة إلى إبادة اليهود، فأعيد النظر في تعريفها المعتمد عالمياً في «قاموس أكسفورد» على أنّها «انتفاض الفلسطينيين ضدّ الاحتلال الإسرائيلي»، بينما القاموس الفرنسي «لاروس» اعتبر الانتفاضة «ثورة شعبية في وجه نظام قمعي أو عدوّ أجنبي». وفي أميركا مهما اختلف التعريف، فلا يحمل هذا المعنى.

هذا الانحياز المبالغ به نحو «إسرائيل»، كان بسبب ما اجتاح أوروبا وأميركا من احتجاجات أزعجت الحكومات والمراكز الاقتصادية الكبرى وأصحاب المصالح التجارية الضخمة، كما استفزّت الممَوّلين الكبار، فالمظاهرات كان أغلبُها من الناشطين الشبّان والطلّاب الجامعيّين. فمارسوا الضغوط على الجامعات، وجرى استجواب رئيسات أهمّ ثلاث جامعات؛ «هارفارد»، و«بنسلفانيا»، و«معهد ماساشوستس للتكنولوجيا»، بحجّة انتهاك لائحة السلوك الجامعية، أدّى إلى نشر أجواء معادية للسامية، حدّده تقرير الاتهام بهتافات تدعو إلى الكراهية مثل: «من النهر إلى البحر، وفلسطين حرّة، وإحياء الانتفاضة، خلقت بيئة خطرة، وحالات مسيئة جسدياً، وأفعالاً لا تخدم أغراضاً مشروعة، ما أثّر على الجمهور بطريقة مغلقة.

كان الردّ الأكاديمي على هذا التحقيق المكارثي في الكونغرس الأميركي، بأنّ هذه الهتافات والدعوات يمكن تفسيرها حسب السياق، إمّا أنّها حرية الرأي أو دعوة إلى الكراهية، ولا يفصل فيها إلّا حسب ورودها، ضمن أي سياق، والسبب الذي أدّى إلى اطلاقها، وهل تسمح بها حرّية التعبير؟

صنّفت لجنة التحقيق المكارثية هذا الردّ بأنه إساءة لاستعمال الحرّية، ما يشجّع الطلبة على التمرّد. ولقد بلغت الغطرسة في نتائج التحقيق حدّ المطالبة باستقالة رئيسات الجامعات، أو إقالتهن تحت طائلة التهديد بقطع تبرّعات بعشرات الملايين في حال الامتناع، ولم يعد إبعادهن عن مناصبهنّ إلّا مسألة وقت.

لا يُبشّر العالَم بخير إذا كانت النخبة مهدَّدة من رجال المال والأعمال الذين يعالجون الأزمات على هذا النحو، لا يتفهّمونها، بل يقمعونها، مثلما اعتاد أمثالهم من السياسيّين عدم إطفاء الحروب، بل صبّ الزيت على النار.

وبينما العالم على عتبة نظام عالمي جديد، كما يُروّج له، لا يلوح للمراقب أنّ أميركا القوّة العظمى قد تُقدِم على بضع خطوات لا غنى عنها لتُحقّق انفراجاً في الأزمات الدولية، لا الرئيس الحالي ولا المتوقّع قدومه لديهما جديد، وإنّما القديم نفسه، ولا توحي قدراتهم المستهلكة إلّا بتكرار السيناريوهات المرعبة سواء في فلسطين أو غيرها، كما أنّ الطبقة السياسية الأميركية لا يُرجى منها تحوّل، فقد ظهرت في حرب غزّة، بلا أخلاق ولا تُعنى بالضمير، تُشترى بأموال الأيباك، عدائية نزرع الفوضى.

أمّا بريطانيا، فابتُليت بحكومة محافظة تضمّ ثلّة فاعلة من أبناء المهاجرين وإلاقلّيات الموتورين، تحاول كسب الشعبوية من عملة رائجة، بتهجير طالبي الهجرة، كذلك فرنسا من فرط شهرتها في الحرّيات، لم تستطع أن تدين جرائم الإسرائيليّين، بينما ألمانيا واقعةً في عقدة ذنب تاريخية تجاه اليهود، تعالجها بانحيازها الأعمى إلى «إسرائيل»، ومساعدتها بارتكاب الجرائم تجاه الفلسطينيّين، ولا تشعر بعذاب الضمير.

هذا الرهط من الحكومات مرشّح لصناعة نظام عالمي جديد، في حين لا يصلحون إلّا لإدارة شعبويات حاقدة، بالتواطؤ مع رجال فضائحهم تزكم الأنوف، من تجارة الأسلحة إلى إدارة شبكات مخدّرات، وجُزُر دعارة أطفال. إنّ نظاماً عالمياً جديداً يحتاج إلى نوعية مختلفة من القيادات، على الأقلّ لديها إحساس بالعدالة.

(روائي من سورية)

مُتظاهرون يحملون لوحة لـ«حنظلة» ويطالبون بوقف فوري لإطلاق النار، مدريد، 27 كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

العودة إلى الماضي

لن نفهم مواقف الغرب الداعمة للإبادة الصهيونية في غزّة والمتشدّدة إزاء المتعاطفين مع القضية الفلسطينية إلّا بالعودة إلى ماضيه الاستعماري؛ فلكلّ دولة استعمارية محارفُها؛ اللامان والانكليز والفرنسيون والهولنديّون والبلجيكيّون وغيرهم، كلٌ منهم جرّب حظوظه في الاستعمار، وارتكب من الفظائع ما لا يُتصوّر، ونظروا إلى السكّان المحلّيّين على أنهم عنصر لا قيمة له، واللادّ على أنّهم «ليسوا بشرا».

إطلالة

كلّ ما في الروح يتألّم

أهلنا الضحايا

إنّ الخيال وكل ما أوتي الإنسان من كلّيات عقليّة وحسّية غير مؤهَّلة للتعامُل مع وضع كهذا، حيث يتعرّض مجتمع وشعب لإبادة بأبشع الطُّرق، بينما تنظر البشرية، إمّا تواطؤاً أو عجزاً أو تجاهلاً

عاطف الشاعر

لا أستطيع أن أرى مشهد الضحايا من النساء والأطفال والشيوخ والشباب، وأهل فلسطين وهُم يقتلون هكذا، وهُم يهربون من حمم الصواريخ، وهُم ينتظرون في طابور للحصول على الخبز أو بعض من الطعام لكي يوقفوا مهلكة الجوع والعطش التي تنخر أجسادهم، وتسرق الضوء من عيونهم. إنّ الخيال وكل ما أوتي الإنسان من كلّيات عقليّة وحسّية غير مؤهّلة للتعامُل مع وضع كهذا، حيث يتعرّض مجتمع وشعب لإبادة بأبشع الطرق بينما تنظر البشرية، إمّا تواطؤاً أو عجزاً أو تجاهلاً.

لا يملك الإنسان ما يؤهّله لتحمّل هكذا حال، والشعبُ الفلسطيني خصوصاً شعبٌ مظلوم، شقّ الأرض والسماء أحلاماً ليتعلّم ويبني، ويُصبح مجتمعاً من أرقى المجتمعات تعلّماً وأخلاقاً وروحية وإنسانية، بينما يُعذَّب وتُشوَّه صورته من أهمج الأعداء في تاريخ البشرية ومن داعميه غطرسةً وإجراماً واستباحةً لدماء وحياة الآخرين.

يرتعش جسدي وترتعش كلماتي ويرتعش أفقي. أخرج من مكتبي باحثاً عن ملاذ ما، باحثاً عن بشرية لتفهم أنّ هذا الإجرام الصهيوني الذي يتقاطر على أحبابنا في غزّة هو إجرامٌ بغيض ودنيء إلى أسفل الدرجات، شيء ما في القلب ينفطر، يودّ لو تستيقظ البشرية، والغربية الرسمية على وجه الخصوص، من عنجهيتها وشراستها وبربريتها. كلّ ما في الروح يتألّم.

يتقاطر القتل والموت على أبناء وبنات شعبنا، هؤلاء دُرر البشرية كما أعرفهم وألِفْتُ وجوههم، وهُم يحاولون النوم في مراكز إيواء للاجئين تفتقر إلى أدنى مقوّمات الحياة. يتعلّقون بالحياة لأنّهم أهلٌ لها، لأنّها تليق بهم، ولأنّها حقٌّ لا يمكن لأحد أن يسلبهم إياه مهما كانت الذرائع. والقتلة من الغزاة المحتلّين ليست عندهم ذريعة واحدة يُعتدّ بها ليكونوا مصاصي دماء ومجرمين ولهذه الدرجة ضدّ هؤلاء الناس الذين يعلّمون البشرية معاني التضحية والصبر والمعنى أن تكون في هذه الحياة.

إنّ عجز اللغة وفجعها أمام واقع ما يحدث في غزّة عجزٌ تتصدّع من قهره الجبال، وتنتحب على هذه البلادة اللاإنسانية، تلك التي تغضّ الطرف عن الموت في غزّة والضفّة الغربية، وعن إجرامية كيان الاحتلال المطلقة والمتكبّرة إلى أبعد مدى.

صور الضحايا تتراكم على قلوبنا، هؤلاء الذين وجوههم وجوهنا، وعيونهم عيوننا، وأرواحهم أرواحنا، تصعد أمامنا، وننتظر خلاصاً ما. ولا خلاص هناك، ولا خلاص هنا، وهُم يهربون من حمم الصواريخ، وهُم ينتظرون في طابور للحصول على الخبز أو بعض من الطعام لكي يوقفوا مهلكة الجوع والعطش التي تنخر أجسادهم، وتسرق الضوء من عيونهم. إنّ الخيال وكل ما أوتي الإنسان من كلّيات عقليّة وحسّية غير مؤهّلة للتعامُل مع وضع كهذا، حيث يتعرّض مجتمع وشعب لإبادة بأبشع الطرق بينما تنظر البشرية، إمّا تواطؤاً أو عجزاً أو تجاهلاً.

لا يملك الإنسان ما يؤهّله لتحمّل هكذا حال، والشعبُ الفلسطيني خصوصاً شعبٌ مظلوم، شقّ الأرض والسماء أحلاماً ليتعلّم ويبني، ويُصبح مجتمعاً من أرقى المجتمعات تعلّماً وأخلاقاً وروحية وإنسانية، بينما يُعذَّب وتُشوَّه صورته من أهمج الأعداء في تاريخ البشرية ومن داعميه غطرسةً وإجراماً واستباحةً لدماء وحياة الآخرين.

يرتعش جسدي وترتعش كلماتي ويرتعش أفقي. أخرج من مكتبي باحثاً عن ملاذ ما، باحثاً عن بشرية لتفهم أنّ هذا الإجرام الصهيوني الذي يتقاطر على أحبابنا في غزّة هو إجرامٌ بغيض ودنيء إلى أسفل الدرجات، شيء ما في القلب ينفطر، يودّ لو تستيقظ البشرية، والغربية الرسمية على وجه الخصوص، من عنجهيتها وشراستها وبربريتها. كلّ ما في الروح يتألّم.

يتقاطر القتل والموت على أبناء وبنات شعبنا، هؤلاء دُرر البشرية كما أعرفهم وألِفْتُ وجوههم، وهُم يحاولون النوم في مراكز إيواء للاجئين تفتقر إلى أدنى مقوّمات الحياة. يتعلّقون بالحياة لأنّهم أهلٌ لها، لأنّها تليق بهم، ولأنّها حقٌّ لا يمكن لأحد أن يسلبهم إياه مهما كانت الذرائع. والقتلة من الغزاة المحتلّين ليست عندهم ذريعة واحدة يُعتدّ بها ليكونوا مصاصي دماء ومجرمين ولهذه الدرجة ضدّ هؤلاء الناس الذين يعلّمون البشرية معاني التضحية والصبر والمعنى أن تكون في هذه الحياة.

إنّ عجز اللغة وفجعها أمام واقع ما يحدث في غزّة عجزٌ تتصدّع من قهره الجبال، وتنتحب على هذه البلادة اللاإنسانية، تلك التي تغضّ الطرف عن الموت في غزّة والضفّة الغربية، وعن إجرامية كيان الاحتلال المطلقة والمتكبّرة إلى أبعد مدى.

صور الضحايا تتراكم على قلوبنا، هؤلاء الذين وجوههم وجوهنا، وعيونهم عيوننا، وأرواحهم أرواحنا، تصعد أمامنا، وننتظر خلاصاً ما. ولا خلاص هناك، ولا خلاص هنا، وهُم يهربون من حمم الصواريخ، وهُم ينتظرون في طابور للحصول على الخبز أو بعض من الطعام لكي يوقفوا مهلكة الجوع والعطش التي تنخر أجسادهم، وتسرق الضوء من عيونهم. إنّ الخيال وكل ما أوتي الإنسان من كلّيات عقليّة وحسّية غير مؤهّلة للتعامُل مع وضع كهذا، حيث يتعرّض مجتمع وشعب لإبادة بأبشع الطرق بينما تنظر البشرية، إمّا تواطؤاً أو عجزاً أو تجاهلاً.

> تقهرنا صور الموت وهي تتراكم في طرقاتك يا غزة

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

صُور لصحافيّي غزّة الشهداء في مسيرة مُنددة بالإبادة الصهيونية، جوهانسبرغ، 28 كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

قصّة

يتفرّجون على المذبحة وهي تفتك بغزّة

الدُّبابة

هشام البستاني

هُم ثلاثة، يجلسون في كنبة واسعة وثيرة أمام التلفاز، يتفرّجون على المذبحة وهي تفتك بغزّة ببثّ حيّ. في الهواء الثقيل المحيط بهم تطير ذبابةٌ بعشوائيّة، ترقبهم والصور المتحرّكة أمامهم بعينيها المركّبتين من آلاف العُيَيْنات، تهمّ بأن تحطّ على رأس أحدهم ثمّ تغيّر رأيها متّجهةً نحو الشبّاك المُزجّج من حيث يتسلّل بعضٌ من الضوء، وهي في حركتها هذه تخاطبهم إذ تنبّر وهُم لا يسمعون. «أيّها الزّعيم القائد. يا من تملك الأمر والحلّ والربط؛ يا من ترأس وتُعيّن وتُقيل؛ يا من تسود وترعى وترفع وتُنزل وتعقد الاتفاقات وتبرم المعاهدات وتعلن الحرب والطوارئ والأحكام العُرفيّة، أبقِ في ميراثك ذرّة من كرامة، تستقلّها كمركبة كوانتوميّة متناهية الصغر، وتغادر إلى غير رجعة؟». «أيّها الجنرال ذو الرّتب. يا من تجلس فوق أطنان من الأسلحة والمعدّات؛ يا من تحبس داخل شخصك وجُندك سنواتٍ طوالاً من التدريب والتجهيز؛ يا من بلعتْ الرواتب والامتيازات لتكون على أُهبّة الاستعداد في النوازل والمَلمّات، أبقِ في جعبة مسدّسك بقيّة من شرف تُطلق به النار على نفسك؟». «أيها الأمين العام للحزب المعارض. يا من أُلهمت صواب الرؤية وصحّة المسار؛ يا من يلعب بك الأوّل ويضبط إيقاعك الثاني؛ يا من تقيم الاحتفالات الكرنفالية الخالية من السياسة في الشوارع باعتبارها احتجاجات؛ يا من تطلب الاعتراف من خصمك المُعلن، ومنه تتسوّل المال والمكانة، أبقِ في وجودك بقيّة تمكّنك من محوه؟». حديث الذّبابة غير مفهوم، مجرّد إزعاج في الخلفيّة يشوّش سيل الكلام الذي ينطق به مقدّمو الأخبار، والعيون الأرقة المُحمرّة الستّ تتأمّل ساقاً ظهرت في صورة في الشاشة، ظنّوها أوّل الأمر معكوسة فأمالوا رؤوسهم، وكاد الأوّل أن يرفع الهاتف ليقرّع مدير القناة، فالساق المغبرة التي تعلوها قدم ترتفع إلى الأعلى، والأرض التي يجب أن تطأها موجودة أسفل منها، لكنّهم، بعد أن تشاوروا فيما بينهم، وحلّلوا الموقف، فهموه، وحلّوا معضلته: الركبة والساق الثانية وما بقي من الجسد المتّصل بهما مدفونة عموديّاً، وبالمقلوب، بين الأنقاض.

انطلاقاً من تلك الساق بالذات، ومع انعدام تركيز على أشخاص كثر في محيطها يحفرون بأيديهم العارية في محاولة - تبدو تراجيديّة - لاستخراج صاحبتها المدفونة («حيّة لا بد»). علّق الأمين العام للحزب المعارض لمجاورَيه، دون أن يكلّف أيٌّ منهما نفسه بالردّ)، تساءل كلّ واحدٍ من الثلاثة في سرّه أن «ماذا بعد؟»، و«ما مصيرنا؟»، و«أين سنكون في اليوم التالي؟»، فيما حكّ الزعيم ذقنه المحلوق المعطّر بأصابع متوتّرة. بطريقة ما، طريقة الذّباب غير المفهومة تماماً، تسمع الذبابة هذه الأسئلة غير المنطوقة بواسطةٍ من قرون استشعارها، وتقهقه في سرّها، فهي - على الأقلّ - تعرف مكانها وإمكاناتها، وتعرف أنّها لم تكن يوماً - ولن تكون - ورقة يمسح بها القوي، راسم الخرائط، قابض الأرواح، مُسيّر حاملات الطائرات القتالية المُرافقة، مؤخّرته المسهولة على الدوام، ثمّ يلقيها إلى الجانب في سلّة القمامة، وتتجدّد محاولاتها في مضايقة الجالسين حيناً، والخروج عبر الزجاج المغلق بإحكام حيناً آخر، إذ تفهم - دون أن يُعينها الفهم على حلّ - أنّها أيضًا محشورةٌ في السلّة المذكورة، المليئة بالأوراق المستعملة الملطّخة بالبراز.

(كاتب من الأردن)

فسيفرة صهيونيّة تُحلّق في سماء غزّة، 17 كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

فعاليات

عند منتصف نهار اليوم، يستضيف «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» في الدوحة الباحث الفرنسي **جان- بيير فيليو** في ندوة بعنوان **من سورية إلى غزّة مرورا بأوكرانيا**. يقدّم أستاذ دراسات الشرق الأوسط في «معهد العلوم السياسية» بباريس قراءة جيوسياسية لواقع المنطقة على ضوء الحرب في أوكرانيا.

تحتضن «مكتبة قطر الوطنية» في الدوحة، ابتداءً من الخامسة والنصف من مساء السبت، 10 شباط/ فبراير المقبل، سلسلة محاضرات بعنوان **المهاجرون العرب الحضارم في إندونيسيا: تاريخ غني ومعقّد**، يُقدّمها كلّ من الباحثين والأكاديميّين: **إنجسينج هو**، و**فاريش نور**، و**فاطمة حسين**، ويُديرها **أحمد إبراهيم أبو شوك**. تُتبع المحاضرات بندوة نقاشية تجمع المُحاضِرين.

يُنظّم «مركز الدراسات العربية المُعاصرة» التابع لـ«جامعة جورجتاون» الأميركية لقاءً افتراضيًا، عند السادسة من مساء 15 الشهر المُقبل، مع **نورا عريقات**؛ الأستاذة المساعدة في برنامج العدالة الجنائية في «جامعة رو تجرز»، للحديث عن **حدود وإمكانيات القانون الدولي في تحقيق المُحاسبة بغزّة**.

بين 14 و24 شباط/ فبراير المُقبل، تنتظم الدورة الرابعة من «معرض العراق الدولي للكتاب»، على أرض «معرض بغداد الدولي». تحمل هذه الدورة شعار **صارت تُسمّى فلسطين**، كما تُخصّص سلسلة ندوات ولقاءات ضمن البرنامج الثقافي تُضيء جوانب من الأدب الفلسطيني وأبرز أعلامه وتاريخ القضيّة الفلسطينية.